الفصل السابع

الإدراكات الحسية

الفصل السابع

الإدراكات الحسية

تأتى أهمية الحديث عن الإدراكات الحسية، من أنها سبيل الإنسان لإدراك ما حوله من أحداث داخلية أو خارجية، ومن أشكال وصور، وغير ذلك من مكونات البيئة من حوله، كما تأتى الحواس بأهمية أكبر كونها الموصل للمخ، الذي يقوم بتحليل كل ما يصله من إدراكات يقوم بتحليلها ويخبرنا عن كنهها وطبيعتها؛ ومن ثم يمكننا التعامل معها بنجاح، وهذا في كثير من الأحيان.

في أحيانٍ أخرى، تكون الملاحظة ضعيفة؛ وبالتالي لا يمكن إطلاق حكم دقيق على المدرك مِن الأشياء، ويتجلى ذلك الضعف في الأمور المادية المحسوسة، والتي تعتمد على حواس الإنسان لإدراكها.

فحواس الإنسان ليست أدوات يوثق بها للحصول على مقاييس دقيقة للمسافة، أو السرعة، أو الحجم، أو الشدة، كما أنها أدوات ضعيفة عندما تستخدم في عقد المقارنات. ونظراً لأن الحواس ذات مدى أو حساسية محدودة، فإنها لا تمكن الإنسان من أن يسمع نغمات كثيرة، أو يري ألوان الطيف مثلاً، أو يشعر بالاختلاف بين

المسافات التي تقع في مدى معين. كما تؤدي أي إعاقة في الحواس بطبيعة الحال إلى التقليل من القدرة على ملاحظة الظاهرات ملاحظة دقيقة.

كذلك تؤدي نواحي النقص الخلقية، مثل عمي الألوان والصمم الجزئي، والأعطاب الوقتية التي ترجع إلى التعب أو العقاقير أو الحالة الانفعالية والتدهور التدريجي للصحة بسبب كبر السن أو المرض، إلى تخريف الملاحظات.(دالدين، 1979)

أما عند "ابن سينا" فالإحساس نوعان: إحساس ظاهر، وإحساس باطن. يحدث الإحساس الظاهر عن طريق الحواس الخمس الظاهرة، وهي: البصر، والسمع، والشم، والذوق، واللمس، ويحدث الإحساس الباطن عن طريق الحواس الخمس الباطنة، وهي: الحس المشترك، والمصورة، والمتخيلة، والقوة الوهمية أو (الوهم)، والذاكرة الحافظة.

ويعرف (ابن سينا) الإحساس بأنه: قبول الحاسة لصورة المحسوس، والقوة الحاسة مثل المحسوس بالقوة. فإذا انفعلت عنه تصبح مثله وشبهه، فالإحساس انتقال من القوة إلى الفعل، واستحالة إلى مشابهة المحسوس بالفعل، وهي فكرة أرسطية الأصل (نسبة إلى أرسطو)، وقد ذاع هذا التعريف فيما بعد بين الفلاسفة، فنجده على الأخص عند (الإسكندر الأفروبسي)، و(الكندي)، و(الفارابي)، وظلّ هذا التعريف ذائعاً طوال القرون الوسطي بين الفلاسفة اللاتينيين.

والإحساس الظاهر في مذهب (ابن سينا) يمكن إرجاعه إلى أربعة عناصر، منها ثلاثة عناصر ضرورية حتى يحدث الإحساس؛وهى:

1- انفعال الحس: ويشترط في حدوث الإحساس انفعال الحس عن المحسوس. فإن لم ينفعل الحس لم يحدث الإحساس.

2- الوسط: ويلزم وجود وسط ينتقل خلاله تأثير المحسوس في الحس، ويقوم الهواء والماء بدور الوسط للحواس، ما عدا حاسة اللمس التي تحس بالملامسة المباشرة

بينها وبين الملموس، ويتردد (ابن سينا) في أمر اللمس، فتارة يقول أن اللحم وسط له، وتارة يقول إنه ليس بوسط، ولكنه آلة اللمس.

3- اللذة والألم: يصاحب الإحساس عادة شعور باللذة أو الألم. فإذا تكيف الحس بكيفية ملائمة.. شعر باللذة، وإذا تكيف بكيفية منافية – أو منافرة – شعر بالألم فاللذة إدراك الملائم من الإحساس، والألم إدراك المنافي.

أما العنصر الرابع فليس ضرورياً لحدوث الإحساس؛ وإنما هو عنصر انفعالي يلحق الإحساس أو يصاحبه.

وفي أنواع المحسوسات: يحذو (إبن سينا) حذو (أرسطو) في تقسيمها إلى نوعين:

- **الأول:** المحسوس المدرك بالذات: أي تأثير المحسوس نفسه في الحس، وينفعل عنه الإحساس.
- الثاني: المحسوس المدرك بالعرض: وهو ليس في الواقع محسوساً يؤثر في الحس، وينفعل عنه الحس. وإنما هو معني يدركه الحس لوجوده عرضاً في محسوس بالذات. فالأبيض مثلاً محسوس البصر بالذات. أما كون هذا الأبيض هو فلان، فهذا محسوس بالعرض. لأن البصر لا ينفعل عنه من حيث هو فلان؛ وإنما من حيث هو أبيض فقط.

والمحسوسات المدركة بالذات نوعان: محسوسات خاصة بكل حاسة، ومحسوسات مشتركة بين الحواس جميعها، والمحسوس الخاص الذي تحسه حاسة معينة، ولا تحسه غيرها مثل اللون للبصر، والصوت للسمع. والمحسوسات المشتركة تحسها الحواس جميعها – أو بعضها – مثل الشكل والعدد والعِظَـم – المقدار – والحركة والسكون–. (نجاتى، 1965)

إن للحواس أهمية عظيمة بالنسبة للإنسان، وقد خلقها الله سبحانه وتعالى لراحة الإنسان عن طريق مساعدتها له في تدبير وتسيير أمور حياته، فضلاً عن حمايتها له، ولنأخذ مثلاً دور الحواس أو بعضها في الحماية من خطر النار، فبحاسة

البصر مع الإدراك المسبق لطبيعتها نتجنب خطرها، وحتى مع عدم وجود حاسة البصر، يمكننا اتقاء خطرها بحاسة اللمس نتعرف عليها دون أن نراها - مع وجود الإدراك المسبق -، وهناك من الأمثلة الكثير.

إلا أن أهم ما يعنينا عند مناقشة أهمية الحواس بالنسبة للإنسان، هو الجانب النفسي، ولهذا نعرض تعريفاً عاماً لعالم الصمم على سبيل المثال، على أمل أن يبرز الناحية النفسية بشكل واقعي مفهوم.

لنتخيل أن طفلاً ولد أصم في بيئة تتوفر فيها الراحة الجسمانية، والأنغام العاطفية فماذا يكون موقفه؟.

إن عالم هذا الطفل سيكون خالياً من صوت أمه المدلل، أو من أي أصوات تحمله على النوم، وكذلك من أصداء الضحك، أو عواء القطط، أو نباح الكلاب، كما أنه سيكون خالياً من صوت تصفيق الأيدي، أو وقع الأقدام الذي ينبئه أنه محبوب وليس وحيداً، ستضيع فرحته في عالمه الساكن، كما ضاعت حرارة العطف والحنان التي هي من مميزات البيئة الحقة.

وهناك أنواع متفاوتة من الشعور المبدئي للأبوين الذين رزقا بأطفال صم، فهناك مثلاً: الذعر، أو الشعور بالجرم، أو الخجل، أو الشعور باليأس، أو الرفض والإعراض، وفي حالات كثيرة الحماية المبالغ فيها للطفل، وعوامل الشد والجذب والذعر، وغيرها من جانب الآباء تسبب مزيداً من التعقيد في عالم الصمم، كما تهدد قدرة الطفل على موازنة شخصيته في هذا العالم، وحتى في الحالات التي ينظر إلى الشخص فيها كوحدة واحدة، فإن الحسرة من عدم القدرة على التفاهم، ربما تشوه السنوات البنائية، والتكوينية في حياة الشخص الأصم.

وقد بيّنت الأبحاث في النواحي المزاجية للأصم: أن النسبة المئوية للأشخاص الصُّم الذين يوصفون بعدم الاتزان العاطفي، أو الذين يحتاجون إلى علاج نفسي تزيد عن ضعف النسبة في غيرهم.

وأن حالة عدم الاتزان بين الصُم أكثر قليلاً من النسبة المئوية في غيرهم، والصُم أكثر إنطواءً على أنفسهم ولكن بدرجة قليلة أيضاً. أما من حيث الاتجاهات العصابية، فقد اتضح أن درجات الأطفال الصُّم، كانت أعلى قليلاً من درجات المجموعة المقارنة.

وقد بيّنت الأبحاث أيضاً فيما يتعلق بالتكيف العام، أن الصُم حصلوا في المتوسط على درجات للتكيف، أقل ممن يسمعون وكانت الفروق ملحوظة، ولها دلالة إحصائية في ست حالات من اثني عشرة حالة.(حمزة، 1964)

مما سبق يتضح لنا أهمية الحواس التي خلقها الله سبحانه وتعالي في الإنسان، وقد تحدث القرآن الكريم عن الحواس في أكثر من آية كما سنرى فيما بعد، توضح أهمية تلك الحواس الظاهرة في السمع، والبصر، والشم، والذوق، والحواس الجلدية.

كما يتم عن طريق الإحساس الداخلي إدراكنا لما يحدث في بدننا من اختلال في الاتزان العضوي، والكيميائي كالجوع والعطش، مما يجعلنا نقوم بالسلوك الملائم سواء لظروف العالم الخارجي، أو لسد النقص في أنسجة البدن، وإعادته إلى حالته السابقة من الاتزان العضوي والكيميائي.

الإدراكات الحسية في القرآن الكريم:

إن الإدراك الحسي وظيفة يشترك فيها كل من الإنسان والحيوان، غير أن الله سبحانه وتعالي قد خص الإنسان بوظيفة إدراكية أخرى هامة، يتميز بها عن سائر الحيوانات الأخرى، ألا وهي العقل، الذي به يستطيع الإنسان أن يعلو بإدراكه عن الأشياء المحسوسة، فيفكر في المعاني المجردة كالخير والشر، والفضيلة والرذيلة، والحق والباطل، فبالعقل يستطيع الإنسان مثلاً، أن يستدل من بديع خلق الله تعالي للكون بأسره وللإنسان نفسه على وجود الخالق وقدرته سبحانه وتعالي. نجاتى (1982)

يقول تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت: آية 53]

كما يستطيع أن يستدل على الخطر المستتر وراء الوجوه الملونة بالغش والنفاق، ويمكنه بذلك اتقاء الأضرار، والبعد عن الأذى الذي لا يراه بحواسه الخمس الطبيعية، فالعقل هو الفارق، أو يجب أن يكون كذلك بين الإنسان والحيوان، فالحيوان قد يأكل طعاماً مسموماً تقدمه له حسب قوة دافع الجوع، الذي يتحكم في إقدامه على الطعام. أما الإنسان فلن يأكل طعاماً مقدماً من عدو له، يعلم علم اليقين أنه يريد قتله والتخلص منه، إلا إذا كان مغيباً عن الوعي والإدراك، كما هو الحال الآن، فمنّا من يتعاطى في كل يوم طعاماً مسموماً من أعداءه، بلا وعى، أو إدراك، مما يبرز أهمية نعمة العقل، وأهمية الحواس، وقبل كل ذلك قدرة العقل على إدراك ما حوله من أحداث، وتاريخ لأمم سابقة ضاعت واندثرت كأن لم تكن، لغياب الفارق بينها، وبين غيرها من المخلوقات التي تحكمت فيها غرائزها حتى أهلكتها.

وعن الحواس في القرآن الكريم يقول المولى عز وجل:

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾. [النحل: آية 78]

ويقول سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾. [المؤمنون: 78]

ويقول: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾. [الملك: 23]

ويقول: ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾. [السجدة: 9]

لقد اكتفى القرآن الكريم بذكر السمع والبصر كأداتين من أدوات الإحساس،

وذلك: أولاً: لأهميتهما القصوى في عملية الإدراك الحسي، وثانياً: لأن في ذكرهما ما يكفي للدلالة على أهمية جميع الحواس في عملية الإدراك الحسي. وهذه خاصة من خصائص أسلوب القرآن الذي يتميز بالإيجاز البليغ، والذي يكتفي بالتلميح، والإشارة إلى الحقائق الأساسية العامة.

كما يأتي ذكر السمع في القرآن قبل الإبصار في كثير من الآيات، وذلك فيما يبدو لعدة اعتبارات:

أولاً: إن السمع أهم من البصر في عملية الإدراك الحسي، والتعلم، وتحصيل العلوم. فمن الممكن للإنسان إذا فقد بصره أن يتعلم اللغة، ويحصل العلوم، ولكنه إذا فقد سمعه تعذر عليه تعلم اللغة وتحصيل العلوم، ومما يدل على أهمية السمع في الإدراك، وفي تعلم اللغة، وهي من أهم أدوات التفكير وتحصيل العلوم، كما يذكر القرآن في كثير من الآيات السمع بمعني الفهم والتدبر والتعقل.

ثانياً: إن حاسة السمع تعمل عقب الولادة مباشرة، بينما يحتاج الوليد إلى فترة من الزمن لكي يستطيع أن يري الأشياء بوضوح.

ثالثاً: إن حاسة السمع تؤدى وظيفتها باستمرار دون توقف - حتى أثناء النوم-، بينما حاسة البصر قد تتوقف عن أداء وظيفتها إذا أغمض الإنسان عينيه، أو إذا نام.

رابعاً: إن حاسة السمع تسمع في كل الأوقات سواء في الضوء، أو في الظلام بينما حاسة البصر لا ترى إلا في الضوء، ويذكر القرآن السمع مفرداً، بينما يذكر الإبصار في معظم الآيات في صيغة الجمع، وذلك من أدلة الإعجاز في أسلوب القرآن؛ حيث أن حاسة السمع تستقبل الأصوات الصادرة من جميع الجهات، بينما العين لا تري إلى إذا اتجه الإنسان ببصره نحو الشيء الذي يريد أن يراه، وإذا حدث صوت في مكان يجتمع فيه جميع الناس فإنهم جميعاً يسمعون نفس الصوت تقريباً، بينما هم يرون الشيء الواحد من زوايا مختلفة، وبذلك لا تكون رؤيتهم للشيء الواحد

متماثلة تماماً. كما أنهم قد يرون في نفس الوقت أشياء مختلفة تبعاً للجهة التي ينظرون إليها، فنحن إذا سمعنا صوتاً صادراً من مكان يقع أمامنا مباشرة، فإن الموجات الصوتية تصل إلى الأذنين في وقت واحد، كما أن شدة تأثيرها على طبلتي الأذنين يكون متماثلاً. أما إذا نظرنا إلى شيء ما موضوع أمامنا، فإن الصورة التي تنطبع على شبكية العين اليمنى تختلف عن الصورة التي تنطبع على شبكية العين اليسرى. فالعين اليمني تري الشيء من جانبه الأيمن. بينما ترى العين اليسرى الشئ من جانبه الأيسر. نجاتي (1982: ص ص 116، 117)

وقد سبق القرآن الكريم بهذا الترتيب العجيب، الحقائق التي كشف عنها العلم حديثاً مما يؤكد على إعجاز القرآن الكريم، في كل آية من آياته، يقول المولي عز وجل:

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾. [الملك: آية 10]

ويقول: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ ﴾. [آل عمران: 193]

ويقول: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾. [النور: 51]

ويقول: ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ ﴾. [الجن: 13]

ويقول: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾. [المائدة: 83]

ويقول: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٠٠ "أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ". [الأعراف: 100]

ويقول: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ﴾. [الكهف: 11]

وعن حاسة اللمس يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾. [النساء: 56]

وتخبرنا الآية الكريمة: أن عذاب الذين كفروا بالله، وبآياته، وكتبه، ورسله، وغير ذلك من الأمور التي أمرنا المولى عز وجل بالإيمان بها، إيماناً يقينياً، لا يأتيه الشك، سيكون بالنار، وأن هذا العذاب، عذاب دائم: (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب...).

ويقول الأعمش في ذلك فيما يروى عن ابن عمر: إذا احترقت جلودهم بُدِّلوا جلوداً غيرها بيضاً أمثال القراطيس، وعن (الحسن) في قوله (كلما نضجت جلودهم) قال: تنضجهم في اليوم سبعين ألف مرة، ثم قيل لهم. عودوا فعادوا، وفي قول آخر: تُبدَّل في الساعة مائة مرة، وقال (الربيع بن أنس): مكتوب في الكتاب الأول أن جلد أحدهم أربعون ذراعاً.

وحقيقة حاسة اللمس التي بيّنها المولى عز وجل قد أثبتها العلم، وأكد على أن مراكز الإحساس توجد بالجلد، وموزعة على الجسم بكامله، مما يؤكد إعجاز ما جاء في الآية الكريمة (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها...)، والمعروف أن الجلد يغطى الجسد كله، وبالتالي فإن العذاب يشمل بدن الإنسان بالكامل.

وكما تحدث القرآن العظيم عن الحواس الخمس المعروفة للجميع، تحدث أيضاً عن الحواس الخارجة عن نطاقها، التي يستطيع بها الإنسان أن يري ما لا يراه غيره، ومنها ما يعرف بالحاسة السادسة، وتلك الهبة من الله يخص بها بعض عباده، وأيضاً رسله، فهو علم من عند الله، فهو سبحانه وتعالي يلهمهم ببعض أحداث الغيب في مكان ما غير متواجدين فيه.ابن كثير (د.ت: ص 404) يقول المولى عز وجل في ذلك:

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ ﴾. [يوسف: 94]

فلما خرجت العير من مصر. قال يعقوب عليه السلام لمن بقي عنده من بنيه (إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون)؛ أي تنسبونى إلى الفند - ضعف الرأى من الهرم، أو الكذب العامد - والكبر، وقال (ابن عباس)، و(مجاهد): تسفهون، وقال "مجاهد" أيضاً، و(الحسن): تهرمون. ابن كثير (د.ت: ص261)

كما تؤكد الآية أيضاً على حاسة الشم، وإن كانت في نطاق خارج عن الطبيعة الإنسانية، وعن طبيعة تلك الحاسة نفسها. فإحساس يعقوب عليه السلام، وقوته التي جعلته يخبر أبناءه بما يراه وهو كظيم، وبما لا تتقبله عقولهم وإدراكهم كبشر، لا يملكون تلك الحواس الخارجة عن نطاق حواسهم الخمس، ولهذا كان ردهم:

﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ ﴾. [يوسف: 95]

مما يؤكد على أن هذه الحواس هي من عند الله، وقد اكتشفها العلماء فيما بعد، بعد أن ذكرها القرآن في أكثر من سورة:

يقول تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾. [آل عمران: 49]

وهذه الحاسة التي اختلف العلم حولها، وحول طبيعتها، وأى نشاط عقلى مسبب لها، ليست قاصرة على الأنبياء والرسل والصالحين - وأن كانت حاستهم هذه خارجة عن طبيعة البشر العاديين -، بل قد تمتد إلى إنسان عادى يرى أو على وجه الدقة يشعر بما لا يعلمه من أمور، فقد يشعر بموت إنسان، أو خير سيصيب آخر، وهذا يفسر لنا الشعور بمعرفة شخص نراه لأول مرة، وكأننا نعرفه قبل ذلك، ونُرجِع ذلك إلى الألفة والارتياح النفسي له، وقد تكون الحقيقة في رؤيتنا له في

أحلامنا، فقد أثبت العلم أن ما ندركه من أحلام أقل بكثير من أحلامنا التي لا ندركها، ونستطيع تذكّرها بعد الاستيقاظ، وسبحان الله العظيم الذي أودع في العقل الإنساني أسراراً سيظل العلم يكتشفها كل حين وآخر، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وجدير بالذكر أن دوافع الفرد وقيمه تؤثر في انتباهه وإدراكه، وقد بيّنت ذلك نتائج عدد من الدراسات التجريبية الحديثة، وقد أشار القرآن إلى هذه الحقيقة في أكثر من موضع، حينما ذكر كيف كان الإيمان يجعل المؤمنين في حالة تهيؤ وانتباه، إلى الاستماع إلى ما ينزل من آيات القرآن فيدركونها إدراكاً واعياً، ويفهمونها فهماً دقيقاً، بينما كانت هذه الآيات نفسها لا تُحدِث لدى المشركين نفس التأثير، وإنما كانوا في غفلة عن سماعها، وإدراكها، وفهمها.

وفيما يلي أمثلة مما قاله القرآن في وصف هذه الحالة من الغفلة عن الإدراك، بسبب الشرك وعدم الإيمان بالله مما عطل حواس المشركين عن أداء وظيفتها:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾. [الأعراف: 179]

وقال: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾. [فصلت: 44]

وقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾. [محمد: 23]

وقال: ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ ﴾. [الزخرف: 40]

وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾. [البقرة: 6]

يقول تعالي: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ ؛ أي غطوا الحق وستروه، سواء عليهم إنذارك وعدمه، فإنهم لا يؤمنون بما جئتهم به. ابن كثير (د.ت)

ويصفهم القرآن الكريم بأنهم وصلوا إلى درجة عدم الشعور نتيجة عدم إدراكهم لآيات الله، أو ما يفعلونه من جرم:

﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩ ﴾. [البقرة: 9]

ويقول المولي عز وجل أيضاً عن تأثير الدوافع والتهيؤ النفسي في الانتباه والإدراك:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٩ ﴾. [الأنعام: 39]

ويقول: ﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٣ ﴾ الجاثية: ٢٣. [الجاثية: 23]

ويقول: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ٨٠ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ٨١ ﴾. [النمل: 80-81]

ومن مظاهر تأثير الدوافع على الإدراك أيضاً، ما يحدث في الإدراك من تحريف وتشويه لحقيقة الشيء. فقد يري الإنسان الشيء الحسن قبيحاً. وقد يري الشيء القبيح حسناً. وقد أشار القرآن إلى ما تحدثه الدوافع، والميول، والأهواء من تحريف في الإدراك فيقول:

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨ ﴾. [فاطر: 8]

وقال: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ١٤ ﴾ [محمد: 14]

وقد بينت دراسات التحليل النفسي؛ أن الإنسان يميل إلى عدم إدراك الأشياء التي تقلقه وتزعجه، والأمور التي تتعارض مع رغباته وأهوائه، ولا شك أن مشركي قريش وكثيراً من اليهود، وغيرهم ممن لم يكونوا راضين عن الدين الجديد الذي جاء به رسول الله ﷺ، لأن في انتشاره تهديداً لسلطتهم ونفوذهم. نجاتى (1982) فدوافع محاربته أقوي وأكبر من دوافع إدراكه أو حتى الاستماع إلى شرائعه، وهذا ما يحدث الآن مما يؤكد على أن القرآن الكريم، وما فيه من تعاليم ومبادئ لراحة البشرية في لكل زمان، ومكان، وإذا ألتفتنا حولنا ونظرنا إلى الأمور، والأشخاص نظرة واعية سنجد حولنا هؤلاء؟، كما سنجد قوم لوط، وسنجد فرعون، وهامان، وقارون، وسنجد الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وحينما ندرك ذلك؛ سوف ندرك بعدها أن عقابهم ليس ببعيدٍ عنّا، ولابد أن يترسخ في نفوس المسلمين، أن الإسلام ليس رخصة يفعلون باسمها كل الموبقات، ثم يمدون أيديهم بالدعاء، طلباً للعزة، أو النصر، أو المال، والجاه. فلكل شيء أسباب سخرها المولى عز وجل للإنسان حتى يأخذ بها في سبيله للوصول إلى ما قدره الله له من رزق باختلاف أشكاله، فمن السذاجة أن يقف الإنسان أمام القطار، ويطلب أن لا يموت !، وهذا ما نعلمه من طبيعة الأشياء، أما ما لا نعلمه فهو في علم الله، وما علينا إلا الأخذ بما علمنا، والالتزام به، دون التنطع بكلمات عن قدرة المولى عز وجل، وأنه لو أراد كذا لفعله، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فالرسول الكريم جاهد وكافح وتحمل الأذى، واختبأ من المشركين في الهجرة، وعمل كثيراً حتى وفاته ﷺ من أجل نشر الدعوة الإسلامية، في ربوع العالم، فمن من مسلمي اليوم من هو في مكانة النبي الكريم عند المولى عز وجل؟!، الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ورغم ذلك كان أكثر الناس عبادة، شكراً لله على نعمه.